مجلة العلوم العربية والإنسانية | E-ISSN : 1658-9602 |
جامعة القصيم، المجلد الالكتروني (١)، العدد (٣)، ص ٩٥٩-١٠٠٢، (رجب ١٤٤٤ هـ/ يناير ٢٠٢٣) المجلد العام (١٦)

إستراتيجية السؤال والجواب
دراسة تداولية في "الهوامل والشوامل" لـ "أبي حيان التوحيدي" و"مسكويه"

د.عبد الله عبد العزيز السلطان
أستاذ مساعد/قسم اللغة العربية وآدابها/كلية الآداب/جامعة الملك فيصل
(قدم للنشر في ١٤٤٣/٨/٢١ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٣/١١/٢٨ هـ ونشر في ١٤٤٤/٧/١هـ)

ملخّص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل الإستراتيجيات الخطابية التي يستخدمها المخاطِب في توضيح مقاصده؛ إذ يرصد الآليات التي تمكنه من الوصول إلى المعاني غير المباشرة المقصودة بواسطة المعاني المباشرة. ويستمد هذا البحث أهميته من دراسته للفعل الحجاجي وهو الاستفهام القائم على محوري السؤال والجواب في نماذج من مدونة تراثية، هي كتاب: "الهوامل والشوامل للتوحيدي ومسكويه". ويسعى في تحقيق ذلك إلى تحليل تنوع الإستراتيجيات المعينة للمخاطِب في وصوله إلى أهدافه، وإلى أي مدى تنجح الآليات المستعملة لتلك الإستراتيجيات في تحقيق مقاصد أسئلة "التوحيدي"، ومقاصد أجوبة "مسكويه"، فعمدنا إلى تحليل الخطاب واستظهار إستراتيجيته المتبعة من السائل والمجيب، معتمدين على التقنيات التداولية والاستدلالات الحجاجية، وما تحتويه من كفاءات تواصلية تنوعت أدواتها اللغوية والمنطقية في تحقيق المقاصد والغايات.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال، الحجاج، الخطاب، إستراتيجيات الخطاب.

Question-and-answer strategy: A pragmatic study in Al-Hawamil and Al-Shamil by Abu Hayyan Al-Tawhidi and Miskawayeh

Dr.Abdullah bin Abdul Aziz Al Sultan.
Assistant Professor /Department of Arabic Language and Literature/
College of Arts /King Faisal University
Received on 21-8-1443 AH Accepted on 28-11-1443 AH Published on 1-7-1444 AH

Abstract:

This research aims to analyze the discourse strategies that the addressee uses to clarify his intentions; it monitors the mechanisms that enable it to reach the intended indirect meanings through direct meanings. This research derives its importance from its study of examples from a heritage corpus whose issues are based on argument's act of interrogation based on the axes of question and answer, in the book: Al-Hawamil and Al-Shawamil of Al-Tawhidi and Miskawayeh. In achieving this, he seeks to analyze the diversity of the specific strategies of the addressee in reaching his goals, and to what extent the mechanisms used for those strategies succeed in achieving the purposes of Al-Tawhidi's questions, and the purposes of Miskawayeh's answers. And the communicative competencies it contains, its linguistic and logical tools varied in achieving aims and objectives.

Key words: Inference, Argumentation, Discourse, Discourse analysis.

المقدمة:

ينبني الخطاب على مبادئ توجه أفكاره وقضاياه وتسهم في تشكيله، يتخذها المتكلم لبيان مقاصده، مستغلًّا ما يعينه على ذلك من طرق ووسائل لانسجام خطابه وتناسبه مع العناصر السياقية؛ إذ يبذل المتكلم في تواصله مع مخاطبه أقصى الإمكانات اللغوية وغير اللغوية للوصول إلى هدفه وغايته؛ فيختار ما يعينه على تحقيق تلك الأهداف، ويرسمها في شكل تدابير مضبوطة بعمليات محددة يضمنها في إستراتيجياته الخطابية. وانطلاقًا من أهمية تلك الإستراتيجيات في توضيح المقاصد والغايات وتوظيف ذلك في النصوص التراثية سنحلل في هذا البحث ثنائية السؤال والجواب باعتبارهما أفعالًا كلامية لها إستراتيجياتها التواصلية في نماذج من كتاب: "الهوامل والشوامل": لـ "أبي حيان التوحيدي"و"مسكويه"؛ لما تمثله أسئلة "التوحيدي" من تنوع في الموضوعات بإثارة الإشكالات الباحثة عن كشف المفارقات والدقائق بين المفردات والمفاهيم والأوضاع والقيم وأشكال السلوك في رؤية إشكالية تساؤلية لا تقف عند حدود القضايا وظواهرها، بل تمتد لتساؤلات عن العالم الإنساني والطبيعي في نسيج ممتلئ بالمتناقضات والالتباسات والازدواجات. وما تعكسه أجوبة "مسكويه" من محاولات لتفكيك دقائق تلك الأسئلة، والإجابة عن إشكالاتها في أسلوب عقلاني يفسر كل شيء إنسانيًّا أو طبيعيًّا بالتعادل والتوازن أو التوسط، أو بالأخلاط والأمزجة والعناصر والطبائع[1].

وسنحلّل الإستراتيجيات مهما تعددت أنواعها بتعدد المواقف والسياقات كأن تكون تضامنية، أوتوجيهية، أوتلميحية، أوحجاجية، ونبيِّن الآليات التي أسهمت في

(١) العالم، محمود أمين، تساؤلات حول تساؤلات الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي، ص(١٣٠، ١٣٣).

تحقيق إستراتيجية ما يسعى"التوحيدي" أو "مسكويه" إلى تحقيق هدفهما من خلالها، ونوضح ما تحققه تلك الإستراتيجيات من مقاصد خطابية، ونبيِّن الآليات المتبعة في تحقيقها. وسنحاول في هذا البحث الإجابة عن إشكالية مدى نجاح الآليات المستعملة لتلك الإستراتيجيات في تحقيق مقاصد أسئلة "التوحيدي"، ومقاصد أجوبة "مسكويه "من خلال تحليل إستراتيجيات السؤال والجواب والآليات الموظفة لتحقيقها من خلال نماذج من المسائل المطروحة في المدونة، وسيكون ذلك باستنطاق ما تحمله تلك المسائل من معانٍ مباشرة ومعانٍ غير مباشرة، وما تسجله في مقدمات وقضايا ومعلومات تتحد جميعها في القيام بمهمة واحدة، وهذا ما سيسعى البحث إلى بيانه وتوضيحه.

مفهوم الإستراتيجية وعلاقتها بتحليل الخطاب:

يشير معنى الإستراتيجية إلى "كلِّ عملٍ يتمُّ القيام به بصفةٍ منسقةٍ لبلوغ هدفٍ ما"[١]، وحيث إنَّ اللغة نظام تواصلي يوجب عدم إمكانية فصل استعمال الإستراتيجية عن ذلك النظام المحدد بإطار تعاقدي يضمن استقرار السلوكات وقابليتها للتوقع؛ إذ يمكن للفرد أن يتعامل إمَّا مع معطيات العقد أو في صلب تلك المعطيات[٢]؛ فإذا وضعنا مسألة المعطيات داخل العقد التواصلي فإن للمحاجج أن ينشئ إستراتيجيات حجاجية تتنوع حسب أهداف تأثيرية تتلاءم مع موضوع كلامه، وهي إستراتيجيات تتأسس - كما يرى شارودو - وفق ثلاثة رهانات متكاملة، هي:

- الرهان الأول: تحقيق المشروعية، ويهدف إلى بيان درجة سلطة المتكلم.
- الرهان الثاني: رهان المصداقية، ويهدف إلى بيان درجة صدق المتكلم.

---

(١) شارودو، باتريك، ومنغنو، دومنيك، معجم تحليل الخطاب، ص(٥٣٢).

(٢) السابق نفسه، ص(٥٣٣).

- الرهان الثالث: رهان الجذب، ويهدف إلى إدخال المشارك في العملية التواصلية باعتباره محاججًا[١].

إنَّ هذا الاتفاق الضمني غير المصرح به والممارس من قبل طرفي الخطاب، هو عقد يحتوي على مقدمات ونتائج، وآليات لغوية وغير لغوية تحقق تفضيل إستراتيجية معينة دون غيرها، ولأجل ذلك تتنوع الاستجابة، فقد يعبر عن اقتناعه إن كانت إستراتيجية المتكلم قادرة على الإقناع، وقد يكتفي المتلقي بالامتثال إذا كانت إستراتيجية المتكلم توجيهية وكان أداؤه ومكانته والسياق يؤهلونه للتوجيه، لذلك كانت الإستراتيجية من شروط إنتاج الخطاب[٢] ؛ لتعدد معانيها وتناسبها مع السياق المحيط ؛ إذ تكون للدلالة على اختيار الوسائل والإمكانات المساعدة على تحقيق هدف وغاية ما، أو للدلالة على الطريقة التي يتصرف بها شخص ما للتأثير على غيره، أو للدلالة على التقنيات المستخدمة في الحروب والمخاصمات من أجل الفوز والانتصار(٣).

ومهما تعددت معاني مفهوم الإستراتيجية، فإنَّ "مبدأ الإستراتيجية هو العمل الذهني المبني على واقع معاين، وعلى افتراضات مسبقة، تعد بمثابة الموجهات التي ترسم خطوطها وتسهم في تشكيلها"[٤]، وفي ضوء هذا المبدأ يسعى المتكلم لبلوغ

(□) L'argumentation, Une Strategie Discursive Sous Surveillance, Patrick Charaudeau: □
https://www.researchgate.net/publication/334659891_L'argumentation_une_strategie_discursive_sous_surveillance

(٢) شارودو، باتريك، ومنغنو، دومنيك، معجم تحليل الخطاب، ص(٥٣٣).

(٣) رابينوف، بول، ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، ص(٢٠٠).

(٤) الشهري، عبد الهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، ص(١٠٢).

أهدافه في المجال الخطابي بما ينتجه من مفردات وعبارات تخدم إيصاله إلى هدف محدد ينشده في سياق تواصلي تتخلله كثير من الصعوبات والتعقيدات التي تؤثر -بل تفرض أحيانًا -على المتكلم اختيار إستراتيجية دون غيرها، وهذا أمر يتطلب من المتكلم تبديل إستراتيجياته الخطابية من فترة لأخرى بما يتناسب مع طبيعة القضية التي يتناولها؛ فالموضوع القائم على أساسٍ حجاجي يجبر المتكلم على اتخاذ خطط تناسب المقام والأشخاص في إستراتيجية حجاجية. وتارة يحتاج إلى إستراتيجية توجيهية بمفردات وأساليب مختلفة عن تلك التي استخدمت في الحجاجية، وكذلك يغير المتكلم إستراتيجيته الخطابية حينما يتطلب الموقف تضامنًا مع مخاطَبه. وهذا دليل على أنَّ الإستراتيجيات الخطابية متنوعة ومتداخلة مع بعضها في صورة شبكة معقدة تجبر المتكلم على اختيار التراكيب اللغوية المناسبة لتلك الإستراتيجيات المختلفة.

لذا يخضع تقسيم الإستراتيجيات الخطابية إلى معايير مختلفة، منها: المعيار الاجتماعي، وهو معيار العلاقة التخاطبية، وعلى ضوئه تكون الإستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التوجيهية. والمعيار اللغوي، وهو معيار شكل لغة الخطاب، ويكون واحدًا من صنفين، إما قصدًا مباشرًا، وإما قصدًا غير مباشر، وتندرج تحت هذا المعيار الإستراتيجية التلميحية. ومعيار هدف الخطاب، ويعد الهدف الإقناعي من أهم الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها؛ لذا تسمى الإستراتيجية وفق هذا المعيار الإستراتيجية الحجاجية[1].

(١) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص(vii وviii).

وقد اعتمدنا الأنواع الأربعة من الإستراتيجيات (التضامنية، والتوجيهية، والحجاجية، والتلميحية) في تحليل تداولية السؤال والجواب بين أسئلة "التوحيدي" وأجوبة "مسكويه".

الإستراتيجية التضامنية:

تتأسس هذه الإستراتيجية على مسوغات تندرج معظمها ضمن التعامل الأخلاقي الذي يحتم على المتكلم التركيز على حسن التعامل ومحاولة التقرب من المخاطَب وتقريبه، من حيث إن التضامن يختص بالمسافة الاجتماعية بين الناس، وتجاربهم وخصائصهم الاجتماعية المشتركة، مثل: الديانة والجنس والسن ومسقط الرأس والعرق والمهنة والاهتمامات؛ لأجل ذلك تستعمل هذه الإستراتيجية حين يكون الداعي لاستعمالها تشابه أو اختلاف اجتماعي، أو شعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير، أو الأثر الإجابي أو السلبي المترتب من تلك العلاقة[١].

وعلى كثرة مسوغات هذه الإستراتيجية وتنوعها إلا أن المقصود منها هو "الاهتمام بتبليغ القصد والتعبير عنه"[٢]؛ لذلك نقصد في تحليلنا هذه الإستراتيجية تبيين تضامن المرسل مع المرسل إليه والعكس صحيح، وأنه تضامن ليس الهدف منه التودد أو التقرب، لكنه تضامن في الأفكار والقضايا والنتائج؛ فهما يلتقيان في الحديث عن موضوع محدد، ويعتمدان على آليات توضح مدى تحققها في الخطاب، سنبينهافي تحليل المسألة الآتية:

تحليل السؤال والجواب ضمن الإستراتيجية التضامنية:

---

(١) السابق نفسه، ص(٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١).وهدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص(١٩٢).

(٢) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص(٢٦١).

المسألة السادسة والثلاثون: يثير "التوحيدي" في سؤاله جانبًا روحانيًّا متعلِّقًا بطباع النفس الإنسانية التي تميل إلى المكان فتألفه بكثرة القعود، وإلى الشخص فتأنس به؛ فالألفة"أول مقام من مقامات الحب، وقد عدت في أسبابه، وهي الممازجة، ويستدعيها الأنس واستقرار محاسن المحبوب، ومعناها: إيثار جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب"[(١)]، وفي ضوء ذلك يحلل "التوحيدي"تلك الطباع من وجهة نظر روحانية؛ فيستشهد بمقالة الصوفية، ويتبنى رأيهم؛ فيقول: "ما الإلف الذي يجده الإنسان لمكانٍ يكثر القعود فيه، ولشخصٍ يتقدَّم الأنس به؟. وهذا تراه في الرجل يألف حمامًا، بل بيتًا من الحمام، ومسجدًا، بل سارية في المسجد"[(٢)]، ثم يقرر تلك الحقيقة في آليات يحقق بها إستراتيجيته التضامنية فيعتمد لتحقيق ذلك على الآليات التالية:

- الفعل الحجاجي الاستفهامي الذي يقرر فيه حقيقة إلف الإنسان للأمكنة وللأشخاص؛ فيصوغ ذلك في صورة الفعل والأثر المتعاكسين:

١ - إلف الإنسان للمكان ⟵ كثرة القعود فيه

٢ - إلف الإنسان للشخص ⟵ الأنس به

في قوله: "ما الإلف الذي يجده الإنسان لمكانٍ يكثر القعود فيه، ولشخصٍ يتقدَّم الأنس به؟"؛ حيث إنَّ كثرة القعود في الأمكنة تؤدي إلى ألفتها، والأنس بالأشخاص ينبئ عن ألفتهم، وبهذا تكون الألفة في كلا الحالين أمرًا طبعيًّا يتجسد في التكرار، سواء تكرارًاالقعود في المكان أو تكرارًا للقعود مع الشخص.

ويتساءل "التوحيدي"عن ماهية الإلف بالاسم الموصول (الذي)، ثم يطلب تصورًا خاصًّا لذلك الإلف، وتوضيحًا لماهيته بالاستفهام بـ(ما).

---

(١) العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص(٧٨ -٧٩).

(٢) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(١٢٣).

وتظهر الإستراتيجية التضامنية في الفعل (يكثر) الدال على التكرار الذي سيبينه مسكويه في جوابه، وهو فعل كلامي وصف به المكان المألوف، في علاقة توازٍ بينه وبين الفعل الكلامي (يتقدم) الذي وصف به الشخص المؤنس به، وهوتوازٍيظهر سبب القضيتين المحوريتين: إلف المكان وإلف الإنسان.

- الاستدلال بالدليل الواقع الذي يمثل قاسمًا مشتركًا بينه وبين مخاطبه، ونقطة انطلاق ممكنة للحجاج[١] في قوله: " وهذا تراه في الرجل يألف حمامًا، بل بيتًا من الحمام، ومسجدًا، بل سارية في المسجد"، إذ ينزل السؤال بالفحوى منزلة الواقع قصد تنبيه السامع، ولئلا ينقطع كلام المتكلم بكلامه[٢]، ويصوغه في علاقة حجاجية تنتقل من غرض إلى غرض آخر من غير إبطال باستعمال الرابط الحجاجي[٣](بل)، ثم يورد المشير (هذا) ليحيل إلى حديثه السابق، ويخاطب مخاطبه بالضمير (أنت)؛ ليحدد مجال خطابه ويحصر توجيه الخطاب في شخص مسكويه، ويوضح مدى تضامنه في موضوع تحديد (ماهية الإلف)، ويجعل الإلف للجزء (بيت من الحمام، سارية في

(١) صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ص(٣٠٨).

(٢) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص(٥٢)، وخطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص(١١٦).

(٣) الروابط الحجاجية، هي التي "تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكلٍّ قولٍ دورًا محددًّا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأنَّ، بما أنَّ، إذ . . . إلخ". ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص(٢٧).

المسجد) أشد منه للكل (الحمام، المسجد)، وفي ذلك تجسيد لعنصر من عناصر الإستراتيجية التضامنية، هو توضيح الأثر الإيجابي المتولِّد من كثرة التكرار[١].

- آلية الاستشهاد في قوله: " ولقد سمعت بعض الصوفية يقول: حالفتني حمَّى الرِّبع أربعين سنة، ثم إنَّها فارقتني فاستوحشتها"[٢]، وهو استشهاد يهدف إلى "تقوية درجة التصديق بقاعدة معروفة، وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول العام، وتقوِّي حضور هذا القول في الذهن"[٣]؛ فالألفة عهد واتفاق يستشهد "التوحيدي" على تحقيقها بنص سمعه هو بنفسه عن بعض الصوفية؛ ليزيد من درجة التضامن مع مخاطبه، ومن ثم يحقق شعورًا "بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير"[٤]؛ ويضيف بذلك الاستشهاد على المعنى الذي قرره في القضية المحورية لسؤاله بكون الألفة لا تقع للمكان وللأشخاص وللحمام وللمسجد فحسب، وإنَّما تقع أيضًا للأمراض والعوارض إذا لازمت الإنسان ثم فارقته؛ لذا اختار التعبير الاصطلاحي للمعنى الوجداني (استوحشها) المحيل إلى (حمى الرِّبع)؛ لتعميق شدَّة الألفة بين الحمى والمحموم إلى درجة أنَّه لا يستطيع فراقها والعيش دونها.

- الإستراتيجية التضامنية القائمة على التجربة الشخصية لـ"التوحيدي"، حين يحيل إلى نفسه بالضمير (أنا) في قوله: "ولم أعرف لاستيحاشي معنًى إلا الإلف الذي

---

(١) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص(٢٥٩).

(٢) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(١٢٣).

(٣) صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ص(٣٣٧).

(٤) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص(٢٥٩).

عُجنت الطينة به، وطُويت الفطرة عليه، وصُبغت الروح به"[١]، وفي ذلك مقصد تداولي يتعلق - حسب سبربر وولسن - بالتخاطب الإشاري الاستدلالي، الذي يستغل المقام والإشارة الحسية لتحقيق الهدفين الأساسيين من التخاطب، وهما: القصد الإخباري، والقصد التخاطبي[٢]، ويعبِّر "التوحيدي" عن تجربته الشخصية في الاستيحاش بالأفعال المبنية للمجهول (عُجنت، طُويت، صُبغت) الموصولة بالواو والمتتابعة في أسلوب يحثُّ على تأكيد الغرض منها، وهو إعلام مخاطبه أنَّ معنى استيحاشه يتحقق في الطينة المعجونة بالإلف، والفطرة المطوية على الإلف، والروح المصبوغة بالإلف.ويقوي تلك التجربة بأسلوب القصر (لم ..... إلا)؛ ليبيِّن منزلة الإلف عنده، والمعنى الخاص للاستيحاش الذي يجده في نفسه.

وجميع تلك الآليات التي استغلها "التوحيدي" في بيان إستراتيجيته التضامنية تتضح أكثر في تحليلنا لجواب "مسكويه"، وما يشتمل عليه من آليات.

الجواب:

يتخذ "مسكويه" من الدلالة المباشرة لألفاظ (الإلف، النفس، الحس، العقل) في قوله: "الإلف هو تكرر الصورة الواحدة على النفس، أو على الطبيعة مرارًا كثيرةً. فأمَّا النفس فإنما تتكرر عليها صور الأشياء: إمَّا من الحس، وإمَّا من العقل"[٣]آليةً ليعبِّر عن إستراتيجيته التضامنية مع "التوحيدي" التي سنوضحها فيما يأتي:

- الإستراتيجية التضامنية بالتكرار الذي يؤكّد فيه ما قرره "التوحيدي" في سؤاله؛ فيتضامن معه في قضية مفادها أنّ"الإلف هو تكرر الصورة الواحدة على

(١) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(١٢٣).
(٢) باديس، نرجس، دلالة الحضور في الإحالة المقامية، المشيرات المقامية نموذجًا، ص(١٠٦).
(٣) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(١٢٤).

النفس، أو على الطبيعة مرارًا كثيرة"[١]، ويبين أنَّ العلاقة بين التكرار والإلف علاقة استلزام (ε-):

التكرار ε-الإلف

الإلف ε- التكرار

- الاستدلال بآلية التفصيل بعد الإجمال في قوله: "فأمَّا النفس فإنما تتكرر عليها صور الأشياء: إمَّا من الحس، وإمَّا من العقل"؛ إذ يبدأ جوابه بتفصيل ما أجمله في المقدمة، مستعملًا أداة التفصيل (أمَّا) التي تدلُّ على الشرط والتوكيد؛ ليوضِّح مدى تأثير تكرار صور الأشياء حسيًّا أو عقليًّا على النفس. وهو بذلك التفصيل مستمر في إستراتيجيته التضامنية مع "التوحيدي" في أنَّ السبب المركزي للألفة هو (التكرار).

- الاستدلال المباشر في أحكام القضايا بتلازم الشرطيات المتتالية في صورة موجهات كلاميةتؤكد مقتضى القضية المحورية، ألا وهي: الإلف يتحقق بالتكرار؛ فيقول: "فأمَّا ما يأتيها من الحس فإنَّها تخزنه في شبيه بالخزانة لها، أعني: موضع الذكر، وتكون الصورة كالغريبة حينئذٍ، فإذا تكرر مرات شيء واحد، وصورة واحدة زالت الغربة، وحدث الأنس، وصارت الصورة والقابل لها كالشيء الواحد. فإذا أعادت النفس النظر في الخزانة التي ضربناها مثلًا وجدت الصورة الثانية فعرفتها بعد أُنسٍ، وهو الإلف، وهذا الإلف يحدث عن كل محسوس بالنَّظر وغيره من الآلات"[٢]؛ فالتكرار يحقق الإلف الحاصل باستعمال آلات حسيَّة مختلفة، وهو تكرار مسبب لزوال الغربة عن الصور الغريبة المخزنة في الذاكرة، وإذا زالت الغربة حلَّ الأنس.

---

(١) السابق نفسه، ص(١٢٤).

(٢) السابق نفسه، ص(١٢٤).

- الاستدلال غير المباشر بواسطة القياس والتمثيل ؛ حيث يفصِّل "مسكويه" في القسم الثاني من تكرار صور الأشياء على النفس، وهو الإلف المأخوذ من العقل ؛ فيقول: "فأمَّا ما تأخذه من العقل فإنَّها تركب منه قياسات، وتنتج منها صورًا تكون أيضًا غريبة، ثم بعد التكرار تنطبع فيقع لها الأنس، إلا أنَّه في هذا الموضع لا يسمى إلفًا، ولكن علمًا وملكةً، ولهذا يحتاج في العلوم إلى كثرة الدرس ؛ لأنه في أول الأمر يحصل منه الشيء الذي يسمَّى حالًا، وهو كالرسم، ثمَّ بعد ذلك بالتكرر يصير قُنْيَةً وملكة، ويحدث الاتحاد الذي ذكرناه"[(١)] ؛ فهو يتضامن مع مخاطبه في الاستدلال بالقياس المنطقي المتمثل في القياس بين أربع قضايا موجبة، هي:

١ - النفس تأخذ من العقل صورًا، ثمَّ بعد التكرر تنطبع فيقع لها الأنس.

٢ - العلوم تحتاج إلى كثرة الدرس، ثم بعد التكرر تصير ملكة.

وأخيرًا يتحدث "مسكويه" عن الإلف المتحقق من تكرار صور الأشياء على الطبيعة في قوله: "فأمَّا الطبيعةفلأنها أبدًا مقتفية أثر النفس، ومتشبهة بها، إذ كانت كالظل للنفس الحادث منها ؛ فهي تجري مجراها في الأشياء الطبيعية ؛ ولذلك إذا عوَّد الإنسان طبعه شيئًا حدثت منه صورة كالطبيعة ؛ ولهذا قيل: العادة طبعٌ ثانٍ"[(٢)] ؛ فهو يستعمل آلية الاستعارة والتشبيه في كون الطبيعة تابعة للنفس ؛ فما تألفه النفس يألفه الطبع، ويشبهها بالظل التابع لصاحبه.ورغم تلك التبعية ؛فإنَّ "مسكويه" يرجح غلبة الألفة الحاصلة من الطبع ؛ لأنَّه يرى أنَّ الإلف بتكرر الصورة الواحدة على الطبيعة هو عادة ؛ فالأمور التي تُعتاد تؤلف، "كمَن يعود نفسه الفصد، والبول، والبراز، وغيرها

(١) السابق نفسه، ص(١٢٤).

(٢) السابق نفسه، ص(١٢٤).

في أوقات بعينها، وكذلك الأكل والشرب، وسائر ما تنسب أفعالها إلى الطبيعة"[١]؛ فتصير طبيعة أكثر وأوضح وأبين وأظهر من الإلف الذي في النفس، بالدليل الواقعي الحاصل من أنَّ الإنسان يعوِّد نفسه على أمورٍ يألفها وتصبح له عادةً يؤديها في سائر أيامه.

وخلاصة الأمر أن ما ذكره "مسكويه" في جوابه من المتتاليات الشرطيات التي تترابط مع بعضها البعض بأداة الشرط والتفصيل والتوكيد (أمَّا) في خطاب معتمدٍ على التقسيم، في صورة (الشرط وجوابه)، كما يوضحه الشكل الآتي:

هي قضايا جزئية من القضية الكلية المتفق عليها بين "السائل/التوحيدي" و"المجيب/مسكويه"؛ وجميعها تشكل منطلقًا لتفصيل المجمل إلى أجزاء، وتحليل الأجزاء إلى استدلالات مباشرة وغير مباشرة، مع الاعتماد على آليات حجاجية متنوعة كالتعليل والتشبيه.

الإستراتيجية التوجيهية:

(١) السابق نفسه، ص(١٢٤).

ينطلق مفهوم هذه الإستراتيجية من المعنى اللغوي للتوجيه، الذي يعبِّر عن تصيير للآخر بجعله يأخذ اتجاهًا معينًا رغبة في تحقيق هدف معين[١]، "ومن هذا المنطلق فإنَّ الخطاب ذا الإستراتيجية التوجيهية يعدُّ ضغطًا وتدخلًا - ولو بدرجات متفاوتة - على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معيَّن"[٢]، من أجل ذلك يتبع المتكلم مجموعة من الأساليب التي تمكنه من تحقيق هذه الإستراتيجية، كالاستعلاء حين يرى نفسه أعلى مرتبة من المخاطَب، أو الطلب المباشر بإغفال جانب التأدُّب التعاملي الجزئي في الخطاب[٣].

وتتجسد هذه الإستراتيجية في الخطاب الذي ينتجه "التوحيدي" و"مسكويه"؛ حيث يتخذ كل منهما الآليات التي تعين على توظيف لغتهما في التأثير على الآخر، وغاية كل منهما التأثير في الآخر وإقناعه بصدق مقصده، كما سيتبيَّن من تحليلنا للمسألة التالية:

تحليل السؤال والجواب ضمن الإستراتيجية التوجيهية:

المسألة الثانية عشرة: يقول "التوحيدي": "لمَ أحبَّ الإنسان أن يعرف ما جرى من ذكره بعد قيامه من مجلسه، حتى إنَّه ليحنُّ إلى أن يقف على ما يُؤبَّن به بعد وفاته، ويحبُّ أن يطلع على حقيقة ما يكون ويقال؟"[٤]فيستهل مسألته بتوجيه مخاطبه إلى حقيقة قررها في سؤاله، هي: محبة الإنسان نسبة الخير إليه. ويتخذ من الآليات الحجاجية ما يحقق تلك الحقيقة على النحو الآتي:

---

(١) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص(٢٤٠٦).

(٢) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص(٣٢٢).

(٣) السابق نفسه، ص(٣٢٢).

(٤) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٦٣).

-الفعل الكلامي (أن يعرف ما جرى) المسبوق بأداة الاستفهام (ما) الذي يوجه به"التوحيدي" مخاطبه "مسكويه" إلى طلب حصول تصديق ما يقرره في مسألته، من ناحية تمنِّي الإنسان أن يطلع ويتصور حقيقة صورته عند الآخرين. ويستغل الفعلين الكلاميين التعبيريين (يَحِنُّ، يحب)؛ فيقول: "حتى إنَّه ليحنُّ إلى أن يقف على ما يُؤبَّن به بعد وفاته، ويحبُّ أن يطلع على حقيقة ما يكون ويقال"(١)؛ ليؤكِّد صدق ذلك حين يبرر أنَّ حبَّ الإنسان لنفسه أمرٌ طبعي مجبول عليه يرجوه ويتمنى تحققه لدرجة أنه يريد أن يرى ويطلع ويسمع مقالة الناس عنه بعد وفاته.

ويحقق "التوحيدي" في هذه المسألة توجيه مخاطبه بالتنوع الأسلوبي بين ما هو افتراضي بعد الموت (الحنين إلى الوقوف على ما يُبَّن به بعد وفاته) وما هو حاصل في الواقع (حب الاطلاع على حقيقة ما يكون ويقال).

-التوجيه بالتكرار في تقديم إستراتيجيته التوجيهية؛ إذ يكرر "التوحيدي"الأسلوب المعتمد على (الفعل + المصدر المؤول) في "أن يعرف ما جرى" و"يحبُّ أن يطلع"و"يحب أن يكون". وهو تكرار يعضد به إستراتيجيته في توجيه مخاطبه؛ إذ إن التكرار " يساعد أولًا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانيًا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان"(٢).

-الإستراتيجية التوجيهية باستعمال آلية التفصيل بعد الإجمال؛ إذ يلجأ "التوحيدي" إلى تلك الآلية للاستزادة من صور التوجيه والإقناع لمخاطَبه فيقرر القضية المجملة: أن الإنسان يحنُّ (إلى أن يقف على ما يؤبن به بعد وفاته)، ويفصلها في قضيتين، هما:

---

(١) السابق نفسه، ص(٦٣).

(٢) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص(١٦٨).

(١) يحب الإنسان أن يطلع على حقيقة ما يكون من أفعال.

(٢) يحب الإنسان أن يطلع على حقيقة ما يقال من ألفاظ.

حيث إن لكلا القضيتين محورًا تتمركز بؤرتها في مقابلة بين حقيقتين، هما: حقيقة ما يكون من أفعال، وحقيقة ما يقال من ألفاظ، والقضيتان تجتمعان في القضية الكبرى المجملة وهي: محبة الإنسان نسبة الخير إليه.

هذه الآلية لها بعدٌ تداولي يفضي بالمخاطَب توجيه فكره إلى القضية التي يريدها له المتكلم، وهذه هي الإستراتيجية التوجيهية التي يسعى "التوحيدي" إلى أن يوجه بها "مسكويه".

- الإستراتيجيه التوجيهية بالفعل الكلاميالذي يفيد الاستفهام الداخل على الجملة المنفية في قوله: "وكيف لم يتصنَّع لفعل ما يحبُّ أن يكون منسوبًا إليه مزيَّنًا به؟ هذا ومحبته لذلك طبيعة"[١]؛ حيث إنَّ "هذا التعامل بين النفي والاستفهام هو الذي رشح هذه البنية وأشباهها لإفادة التقرير بمعنى الإقرار بما يعرف"[٢]؛ وهي جملة أقوى حجاجيًّا من لو أنَّه قال: (الإنسان يتصنع لفعل ما يحب أن يكون منسوبًا إليه مزينًا به؛ لأنَّ محبته لذلك طبيعة)؛ لأنَّ مخاطَبه من الممكن أن يرفض محتوى الأخيرة وبالتالي ينفي النتيجة المستخلصة منها. أمَّا الجملة الأولى فإنَّها تقدم معطيات لغوية تقرر حجة "التوحيدي" وتوجيه "مسكويه" للإقرار بها.

-الإستراتيجية التوجيهية بالجملة الاعتراضية "وإنْ كابر طباعه، وأراد خداعه"، وهي جملة اعتراضية تستمد مظهرها الحجاجي من فصلها داخل المفهوم الواحد بين ما هو ظاهري وما هو حقيقة. وطريقة الفصل هذه لا تعين المخاطَب "على

(١) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٦٣).

(٢) المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص(٣٧٨).

تمثل حقيقة الأشياء فحسب، بل هي تدعوه بإلحاح إلى معانقتها؛ فهي الحقيقة، وإلى اتْراك غيرها؛ فهو الزيف"[(١)]؛ فالمفهوم الواحد في خطاب "التوحيدي" هو حقيقة كون محبة الإنسان لنسبة الخير إليه هي محبة طبعية، مع أن الإنسان ظاهره مكابرة ذلك ومخادعة طبعه.

- الإستراتيجية التوجيهية بالرابط الإشاري (هذا) الذي يحيل إلى جملة من الأحداث والمفاهيمالتي تستمد تأويلها من السياق الخطابي الدال على أنَّ الإنسان يسعى إلى ما يزيِّن به نفسه عند الناس ويعلي من شأنه في حياته ومماته. وهو رابط يقدم فيه "التوحيدي" معلومات خطابية لا يحتاج إلى تكرارها؛ بل يوجِّه مخاطَبه لاستحضارها والاقتناع بها.

- الإستراتيجية التوجيهية بالمشير (ذلك) في قوله: "ومحبته لذلك طبيعة"؛ إذ يشير إلى حقيقتين طالما ألحَّ "التوحيدي" وأصرَّ على تأكيدهما، كما يأتي:

١ -يحبُّ: أ- أن يكون منسوبًا إليه.

ب - مزيَّنًا به.

(لأنَّ) محبته لذلك طبيعة.

٢ -أ- لو رام زاوله (أي: فعل ما يحب) عنها.

ب - وأراد خداعه (أي: فعل ما يحب).

النتيجة: (لما أطاق ذاك).

---

(١) صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ص(٣٤٥ -٣٤٦).

حيث يشكل (١أ) ما يشغل الإنسان به نفسه ويفني فيه عمره من حب للمدح، ويؤكِّد ذلك بـ(١ب)؛ لأنَّ في صيغة المفعول للتزيين معنى زائدًا على المنسوب، ويجمع (١أو١ب) أنَّ المسبب واحد هو أمر (طبعي).

ويشكل (٢أ و٢ب) اعتراضًا بالشرط وجوابه، يحيل الضمير الأول في (زواله) والثاني في (خداعه) على سابق واحد هو (فعل الإنسان ما يحب أن يكون منسوبًا إليه مزيَّنا به).

وهو شرط بالأداة (لو) التي تدل وظيفتها على امتناع الجواب لامتناع الشرط؛ فالامتناع بها يدور في حلقة مغلقة نهايتها أنَّه (لن يتحقق)، أي: استحالة زوال طبيعة الإنسان في محبته لنفسه، وما يتبع تلك المحبة من تصنُّع الفعل الكريم والتزيُّن بالوصف بالحسن.

استعمل"التوحيدي" في هذه المسألة آليات استغلها في تحقيق إستراتيجيته لتوجيه مخاطَبه؛ فهو يبدي ويعيد في تكرار حجته بصيغة تركيبية موحَّدة، هي: (فعل+فاعل+أنْ+فعل)، وهذا أنموذج يردده على سامعه حتى يحفظه ويقتنع به؛ فهو يستهلُّ بقوله: "لمَ (أحبَّ الإنسان أن يعرف) ما جرى من ذكره بعد قيامه من مجلسه"، ثمَّ يربط قوله بالرابط الحجاجي (حتى)؛ فيقول: "حتى إنَّه لـ(يحنُّ إلى أنْ يقف) على ما يؤبن به بعد وفاته"، ويردف ذلك بقوله: "و(يحبُّ أنْ يطلع) على حقيقة ما يكون ويقال"، ويعيد التركيب نفسه في الاستفهام المنفي؛ فيقول: "وكيف لم يتصنَّع لفعل ما (يحبُّ أن يكون) منسوبًا إليه مزيَّنًا به؟".وفي هذا بيان وتأكيد لما يسعى "التوحيدي" إلى تقريره مقدَّمًا في مسألته، وتوجيه للجواب الذي يطمح إلى سماعه من مخاطَبه، وهذا ما سيتبين لنا في تحليل الجواب.

الجواب:

يستغل "مسكويه" الاستشهاد بإجابات سابقة له في عقد اتفاق أولي بينه وبين "التوحيدي" ؛ فيصوغ ذلك في ضمير الجمع بقوله: "قد تقدَّم لنا في بعض الأجوبة التي مضت"[(١)]، وهو عقدٌ يتضمن حجاجية توجيهية تقتضي أنَّ الجواب معروف سلفًا، ومع ذلك يفسره في قضيةٍ مجملة، هي: "أنَّ للنفس قوتين"، ثم يفصِّل في توضيح تلك القوتين على النحو الآتي:

١ـ قوة طبعية جاذبة يشتاق بها الإنسان إلى ما يزداد به محبة لنفسه، والتوسل إلى ذلك بوسيلتين:

١ -أ - عامة، وهي الأدنى، وتشتمل على ما يشتاق به الإنسان إلى المعارف واستثباتها.

١ -ب - خاصة، وهي الأَوْلى، وهي معرفة الإنسان بما يخصُّه في نفسه التي هي محبوبته ومعشوقته.

حيث يشكل (١ -أ) آلية تعتمد على التفصيل بعد الإجمال فيما يحقق الإسراتيجية التوجيهية المتمثلة في قوة النفس التي يشتاق بها الإنسان لكل ما يثبت به حبه لنفسه من المعارف والعلوم. وهو أمر عام ينطلق به إلى (١ -ب) وهو المعنى الخاص والأوْلى الذي يقرر فيه "مسكويه" جوابه ويصرح فيه بأنَّه هو العلة المسببة لحب الإنسان معرفة ما يقال فيه من ألفاظ وما يكون من أفعال في حياته أو بعد مماته ؛ لأن محبة الإنسان نفسه هي الغاية القصوى التي يتوسل للوصول إليها بالطبع الأول.

٢ـ قوة ذاتية: يكتسب فيها الإنسان ما يزيده تشوقًا واشتعالًا لمعرفة نفسه المحبوبة.

---

(١) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٦٣).

وما هذه القوة إلا تأكيد للقوة الأولى أراد "مسكويه" تعزيز إستراتيجيته التوجيهية بالأفعال التعبيرية (يتزيَّد، يشتعل، يقوى) التي توجِّه مخاطبه نحو الاقتناع بأن مدار الأمر كله هو حب الإنسان لنفسه، علمًا أنَّ هذا هو ما قرره "التوحيدي" في سؤاله، حين قال: "ومحبته لذلك طبيعة لو رام زواله عنها لما أطاق ذلك، وإن كابر طباعه، وأراد خداعه"[١].

-الإستراتيجية التوجيهية بصياغة القضية الالتزامية بين سبب ونتيجته في التركيب الشرطي الآتي:

القضية= عموم اشتياق الإنسان إلى المعارف واستثباتها في سائر الأشياء.

النتيجة=أولوية معرفته لما يخصه في نفسه التي هي محبوبته ومعشوقته.

-السلم الحجاجي، و: "هو علاقة ترتيبية للحجاج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

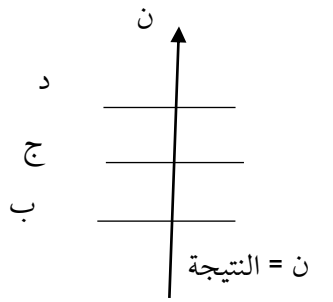

(ب) و(ج) و(د): حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

(١) السابق نفسه، ص(٦٣).

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذّاك إلى نفس السلم الحجاجي . . . ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

أ -كلُّ قولٍ يرد في درجةٍ ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلًا أقوى منه بالنسبة لـــ (ن).

ب -إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أنَّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح"[١].

ويعدُّ السلم الحجاجي من تقنيات الحجاج الذي يستدل بها"مسكويه" على صدق قضيته في أنَّ محبة الإنسان لنفسه هي القوة الأقوى والأولى، ويبني نتيجة هذا السلم بالرابط الحجاجي التعليلي (لأجل) على النحو الآتي:

(ن) = اختصاص التشوق بمعرفة أحوال نفسه المحبوبة.

(لأجل)

- يتزيَّد التشوق ويشتعل ويقوى.

-الإنسان يشتاق إلى معرفة ما يخصه في نفسه التي هي محبوبته ومعشوقته.

-الآليات[٢]اللغوية الداعمة للإستراتيجية التوجهية، مثل: التأكيد بالأداة (أنَّ)، وتقديم خبرها شبه الجملة (للنفس)؛ لزيادة الاهتمام والتوجيه، ثم تأكيد اسم الموصول (التي) بالضمير (هي)، في قوله: "والقوة التي هي ذاتية للنفس"، والتوجيه بأفعل التفضيل (أولى) الدال على منطقية استدلاله، إضافة إلى اعتنائه بالصيغ الصرفية وتكرارها في أسلوب يدلُّ على إلحاحه في توجيه مخاطبه والتأثير فيه، مثل: (محبوبته،

(١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص(٢٠ -٢١).

(٢) يقصد بالآلية: وسيلة عمل الشيء وتنفيذه.

معشوقته، نفسه المحبوبة)، وهو توظيف للتكرار مرتبط بمقاصد المتكلم، والحجج التي يريد تثبيتها وترسيخها من خلال طرحها في صورة المسلَّمات لا الظنيَّات؛ ليحقق غايته في الخطاب، وبهذا يكون للتكرار وظيفةً حجاجيةً تتجاوز وظيفته الجمالية الشكلية في توضيح المقصود وتأكيده.

وبعد ذلك يسترسل "مسكويه" في جوابه ليصل إلى بيان الجزء الأخير من سؤال "التوحيدي"، وهو: "كيف لم يتصنَّع لفعل ما يحبُّ أن يكون منسوبًا إليه مزيَّنًا به؟"؛ فيصوغه في تركيب شرطي بأداة التفصيل والتوكيد (أمَّا)؛ ليبيِّن أنَّ تصنع الإنسان لفعلٍ ما يحب أن يكون منسوبًا إليه أمرٌ طبعي أثبت وقوعه في الجزء الأول من جوابه، ثم يؤكِّد صدق ما ذهب إليه بتقنية القصر التي اختارها لأن تكون جوابًا للشرط الذي ابتدأه؛ فيقول: "فأمَّا تصنُّعه لفعل ما يحبُّ أن يكون منسوبًا إليه؛ فإنَّه ليس يتركه إلا أن يعترضه عارض آخر من شهوةٍ عاجلةٍ تقاومه"[١]، وهذا الاختيار دليل على هدفه التوجيهي؛ فهو يقصر ترك الإنسان لتصنع فعل ما يحب أن يكون منسوبًا إليه على العوارض التي تعترضه من الشهوات العاجلة المقاومة لذلك التصنُّع.

-الإستراتيجية التوجيهية بالأسلوب الإقناعي المعتمد على التفضيل (أغلب، أشد) الذي يوضح مقصود المتكلم في تأكيد حقيقة محبة الإنسان لنفسه، وأنَّها أمرٌ حاصل لا يتخلى عنه الإنسان إلا لأمرٍ عارض أقدر على تحويل طبعه.

- التوجيه بالتفصيل بعد الإجمال في قوله: "فإنَّه ليس يتركه إلا أن يعترضه عارض آخر من شهوةٍ عاجلةٍ تقاومه"[٢]؛ إذ يستعمل أداة الوصل السببي (الفاء)

(١) السابق نفسه، ص(٦٣).

(٢) السابق نفسه، ص(٦٣).

والضمير المحيل على العارض المقاوم لطبيعة حقيقة حبِّ الإنسان لنفسه ؛ ليستدلَّ على كون هذا العارض شديدًا وغالبًا لذلك الطبع.

- الإطناب لغرض تأكيد حجته وتوجيه المخاطب للاقتناع بها في قوله: "كما ضربنا به المثل فيما تقدم من علم المريض بحفظ الصحة، وحاجته إليها، ثم إيثاره عليها نيل شهوة دنية عاجلة، وإن فاتته الصحة المؤثرة في العاقبة"[(١)] ؛ حيث ينتقل من الحديث عن جوهر حقيقة القضية إلى التفصيل في ما يعترض تلك الحقيقة، وهي الشهوة العاجلة، ويستعين بآلية بلاغية هي التمثيل بصورة المريض الذي يعلم ضرورة حفظ صحته وحاجته إليها، ومع ذلك يؤثر عليها نيل الشهوة الدنية العاجلة، ويعضد حجته بالتراكيب المتضادة (نيل شهوة دنية عاجلة ≠ فاتته الصحة المؤثرة في العاقبة)، ومقصده من ذلك توجيه مخاطبه للنتيجة التي يحرص على تأكيدها، وهي: أنَّ الإنسان محبٌّ لنفسه ومقدمها إلا إذا غلبته شهوة، وهي الحقيقة التي تستوجب ضرورة حفظ الصحة، ومع ذلك تؤثر النفس الشهوة العاجلة.

- الإستراتيجية التوجيهية بالجملة الاعتراضية "وإنْ فاتته الصحة المؤثرة في العاقبة"، وهي جملة اعتراضية تستمد مظهرها الحجاجي من تركيبها الشرطي المقتضي سببًا ونتيجة، هكذا:

إيثار الإنسان نيل شهوة دنية عاجلة ⟵ فوات الصحة المؤثرة في العاقبة

حيث إنَّ فوات الصحة سببه حبّه العاجلة وتقديمها على العاقبة، وهذا ما يؤكد القضية المحورية التي يقصدها "مسكويه" بالخطاب التمثيلي، ولأجلها يواصل تعضيدها بآلية التحضيض في الأداة (لولا) ؛ ليوضح بها قضية مقابلة لما طرحه سلفًا، ومعددًا

(١) السابق نفسه، ص(٦٤).

للعواقب والمكاسب من تقديم الإنسان للشهوات العاجلة، هذه العواقب من "الآليات المباشرة، وبالتالي الصريحة، وهذا ما يستعمله المرسل ليوجِّه المرسل إليه وفق ما يريده هو غير مكترث بمنفعته"[(١)]؛ لذلك يلخص مسكويه فوائد تلك الشهوات في الآتي:

١ـ تميز الفاضل من الناقص.

٢ـ مدح العفيف، وذم النهم.

٣ـ الانتفاع بالآداب والمواعظ.

٤ـ التعب والرياضة فيما على الطبيعة فيه كلفة ومشقة.

إضافة على ذلك اختياره للفظ (الطبيعة) فيه توجيه مباشر ورد على "التوحيدي" في تقريره لحقيقة ذكرها في سؤاله، هي: أنَّ محبة الإنسان لنفسه طبيعة لا يستطيع تغييرها؛ لأجل ذلك يختم "مسكويه" جوابه بقوله: "وهذا بيَّن كافٍ في جواب المسألة"، وهو فعل كلامي مسبوق بالمشير العائد على مجموع حديثه وما تناوله من مقدمات وقضايا ونتائج، أكَّد فيها حقيقة حاول فيها توجيه مخاطبه إلى أمر يخالف قناعته في سؤاله؛ فـ"التوحيدي" يرى أنَّ حبّ الإنسان لنفسه هو السبب الجوهري والدافع الأوليّ لحرصه على معرفة ما يقال عنه، وحرصه على نسبة الخير إليه. و"مسكويه" يرى صدق ذلك وأنَّ الإنسان يشتاق ويشتعل ويقوى للأمر الذي يختص بمعرفة أحوال نفسه المحبوبة، وأنْ يتصنَّع ما يزينه وينسب إليه عند الآخرين، ومع ذلك لا يستطيع مغالبة الشهوة العاجلة. إذًا كلاهما يتفق على أمرٍ طبعي، هو: محبة الإنسان لنفسه، إلا أنَّ التوحيدي يرجع أمر الشهوات العارضة إلى العلة الطبعية الأولى، ومسكويه يرى أنَّ الشهوات العارضة غالبة على ذلك الطبع.

---

(١) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٣٦١).

الإستراتيجية التلميحية:

تعرف بالإستراتيجية "التي يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (التضمين والاقتضاء مثلًا) يحتاج معها المرسل إليه إلى إعمال آليات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصلي، فهي إستراتيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام"[(١)].

فالمتكلم يهدف في استعماله لهذه الإستراتيجية إلى التعبير عن قصده بالقوة الإنجازية المستلزمة المربوطة مقاميًّا، والتي يتوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث التعقيد؛ لينجز بها أكثر مما يقوله، فيتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه إلى التعبير عن قصده بما تستلزمه ألفاظه، بواسطة استثمار العناصر السياقية[(٢)]. وهذا ما سنحاول تحليله في المسألة التاسعة وجوابها.

تحليل السؤال والجواب ضمن الإستراتيجية التلميحية:

المسألة التاسعة: يلمح "التوحيدي" في هذه المسألة إلى معنى ضمني يذم فيه التعالم؛ فيقول: "ما سبب مَن يدعي العلم وهو يعلم أنَّه لا علم عنده؟، وما الذي يحمله على الدعوى، ويدنيه من المكابرة، ويحوجه إلى السفه والمهاترة؟"[(٣)]؛ إذ يلمح "بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق؛ لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب

(١) مقبول، إدريس، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص(٥٥١).

(٢) المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص(٢١ - ٢٣). والشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٣٦٩ -٣٧٠).

(٣) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص (٦٠).

ويفهمها المرسل إليه"[١] ؛ لذلك يستعمل عدة آليات في تحقيق إسترتيجيته التلميحية، منها:

-استعمال مصطلح (الدعوى) وتسخيره للتعبير عن قصده بالإستراتيجية التلميحية التي يؤكد فيها أنَّ الفعل الكلامي (الادِّعاء) هو "بمنزلة النتيجة من دليل محذوف المقدمات ؛ لأن من يدعيها يحتاج إلى إثباتها إذا وقع الاعتراض عليها"[٢]، وأنَّ التعالم لا سبب له إلا المكابرة والسفه والمهاترة ؛ لأن المدعي يعتقد صدق ما يدعي، ويطالب المخاطَب تصديق هذه الدعوى[٣].

-الآليات شبه المنطقية التي تعتمد على خطاطة منطقية لحجةٍ ما وهي تجمع بين الخصائص الرياضية للحجة والفعالية التي يستند فيها الجمهور على المخططات الترابطية التي يتم فيها الجمع بين العناصر المنفصلة في الحجج شبه المنطقية، وبالتالي فهي تجمع بين المنطق الرياضي والواقع الاستعمالي، ويتضح ذلك في مفهوم المخالفة ؛ حيث إن مَن (يدَّعي) ويحمل نفسه على (الدَّعوى) لا علم عنده في الحقيقة، وفي ذلك ثبوت قضية أن (مَن يعلم) لا يحتاج إلى الادِّعاء والتعالم والمكابرة ؛ فـ"التوحيدي" يعبر عن سؤاله بـ(الدَّعوى) ؛ ليلمح إلى قصده من نفي العلم عمن ادَّعاه.

-دلالة الإحالة في الجزء الأخير من سؤالهفي قوله: "وما الذي يحمله على الدَّعوى؟، ويدنيه من المكابرة، ويحوجه إلى السفه والمهاترة؟" ؛ إذ تحمل تلك الإحالة في دلالة الخطاب ما يخرق فيه "التوحيدي" قاعدة الكم بـ"ما يسمى بتحصيل الحاصل،

---

(١) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٣٦٧).

(٢) عبد الرحمن، طه، مسألة الدليل -الإضمار في الدليل، مجلة المناظرة، العدد٤، ١ مايو ١٩٩١م، ص(١٢٣).

(٣) عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص(٧٥).

كما يرى غرايس؛ وذلك لأنها لا تفي بما تتطلبه هذه القاعدة على مستوى القول الفعلي، ولكنها تفي بها على مستوى الاستلزام"[١].

-العلاقات الضدية بين صفة العالم والمتعالم/العالم ومن يدعي العلم، وتأكيد قضية أنَّ العالم لا يدعي ولا يكابر ولا يهاترفي أسلوب تكراري لمفردات تؤكد تلك القناعة، يسبقه استفهامحجاجي يوظفه "التوحيدي"في تأكيد قناعته؛ فيصوغ الجزء الأخير من سؤاله بالاسم الموصول (الذي) المراد به تخصيص السبب وحصره في علة التعالم، وجملة الصلةالمكونة من فعل المستقبل (يحمل) المسند إلى الضمير المحيل إلى جنس المدَّعي (ـه) في صياغة للمعنى الضمني الذي يلمح إليه ويلح على تأكيده وفرضه على مخاطبه: "وما الذي يحمله على الدعوى، ويدنيه من المكابرة، ويحوجه إلى السفه والمهاترة؟"[٢]. ونستنتج من الأفعال المستخدمه أنَّ هذا الضرب من الحجاج يفيد التحقير والسخرية ممن لا علم له سوى الدَّعوى؛ ولذلك جاء الخطاب في قالب سؤال في ظاهره بحث عن المعلومة وفي مضمونه ذم واستنكار.

- الاستدلال بالإستراتيجية التلميحية بأسلوب منطقي يعتمد على مسلمة حجاجية، تقتضي أن مسبِّب (الادِّعاء، والمكابرة، والسفه، والمهاترة) إنما هو قلة العلم أو الجهل؛ حيث إنَّ:

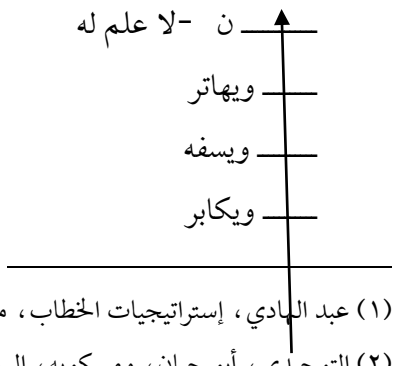

(١) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٤٣٩).

(٢) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٦٠).

ـــــــ لا علم عنده

ـــــــ مَنْ يدَّعي العلم

وثمرة تلك الإستراتيجية التلميحية التي استعمل فيها "التوحيدي" عدَّة آليات ضمنها فعل الاستفهام في أسلوب حجاجي، يعززه بمفهوم المخالفة، والعلاقات الضدية المتكررة المفردات.

الجواب:

يستجيب "مسكويه" لما يقرره "التوحيدي" في هذه المسألة، ويتضامن مباشرة معه؛ فيستهل الجواب بذكر حقيقة (السبب)، مستعملًا الإستراتيجية التلميحية التي يؤكد بها حقيقة السبب وراء (ادِّعاء العلم) في خطاب سردي يوظف فيها الروابط الحجاجية الدالة على التعليل: (فهو لأجل، لأنَّ، وعليها تحصل، ومن أجلها). ويدلل على جوابه بسلم حجاجي ينتهي إلى مسلمة حجاجية، على النحو الآتي:

- ن - يدَّعي ما لي

(رابط حجاجي يفيد التعليل) فهو لأجل المحبة

-شعوره بموضع الفضيلة

-محبة الإنسان نفسه

حيث تؤدي محبة الإنسان نفسه، واستشعاره بأنَّ العلم موضع الفضائل ومكمنها إلى ادِّعاء الإنسان لـ(العلم)؛ إذ به يرتقي الإنسان في الشرف والمروءة.

ويتبع ذلك السلم الحجاجي بحجج يوضح فيها كون (العلم) مطمحًا وغاية يسعى إليها الإنسان؛ لينال بها شرف الباطن والظاهر؛ فيتخذ "مسكويه" من التأكيدات المعتمدة على الروابط الحجاجية التعليلية سبيلًا له في الوصول إلى إستراتيجيته

التلميحية، ويصوغ ذلك في تركيب شرطي يعتمد على السبب والنتيجة، على النحو الآتي:

إذا عريت النفس من العلوم والمعارف (أو) إذا عريت النفس من جلِّ العلوم والمعارف.

ن -: حصلت له من المقابح ووجوه الشقاء بحسب ما يفوتها من ذلك.

(لأنَّ): العلوم والمعارف بها تحسن صورة النفس، وعليها تحصل، ومن أجلها تسعد.

-الاعتماد على آلية التضاد والمقارنة بين قضيتين متقابلتين؛ إذ يدعم مسكويه بهذه الآلية استراتيجيته التلميحية في تأكيد شأن (محبة الإنسان نفسَه)، وفق الخطاطة الآتية:

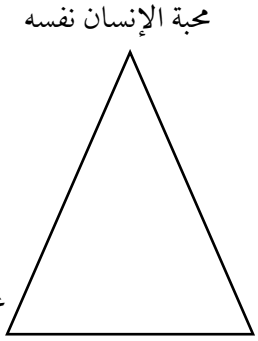

-الحجاج بالحشو أو الاستطراد: وهو مظهر حجاجي يستعين به "مسكويه" في جوابه؛ كي يؤكد حجته بأسلوب يوظف فيه الآليات النحوية، مثل: (أل الجنسية) في قوله: "ومن شأن المحبة" التي ينتقل بها من الحديث عن المعنى الخاص لمحبة الإنسان نفسه إلى المعنى العام للمحبة، وهو انتقال تعبيري يحمل معنى عامًّا مختلفًا عن المعنى

الأول الخاص ؛ فقوله: "محبة الإنسان نفسه" فيه إضافة للمصدر إلى فاعله وإعماله في المفعول به، وهي إضافة تفيد استغراق الإنسان في محبته لنفسه، وطبعه الذي جبل عليه، أما قوله: "ومن شأن المحبة" فهو تعبير مطلق يصدق فيه على كل أنواع المحبة ؛ فـ"من الخطأ أن نعتقد ثبات المعنى لهذه التعبيرات، ومن الخطأ أن نعتقد أنَّ العلاقات بين هذين اللفظين هي ذاتها لا تتغير"[(١)].

الحجاج بالألفاظ المتضادة: وفيه توظيف للألفاظ المتضادة (تغطي≠تظهر، المساوئ≠المحاسن، موجودة≠معدومة) في استدلالات دلالية على حجته في القضية التي ابتدأ بها الجزء الأخير من جوابه: (شأن المحبة)، ويبرر استعماله لتلك التضادات بالاستدراكات الشرطية، التي يوضح بها مقصده من (شأن المحبة)، ويصوغ ذلك في إطار السبب والنتيجة:

إن كانت (المحبة) موجودة ⟸ تغطي المساوئ (و) تظهر المحاسن

إن كانت (المحبة) معدومة ⟸ تدعيها (المحبة)

حيث يؤكد إستراتيجيته التلميحية في بيان (شأن المحبة)، ومدى ارتباطها بالإنسان إلى درجة أن يدعي الإنسان لنفسه من المحاسن ما ليس فيه ؛ فالادِّعاء جلب ما ليس حاصل.

إنَّ مسكويه في أسلوبه التضادي المكوَّن من سببين ونتيجتين هو سبب جامع لتقرير نتيجة كبرى يريد أن يؤكِّدها ويلمح إلى التسليم بها ؛ إذ يستعين بالرابط الحجاجي السببي (الفاء) والأداة الشرطية (إنْ) واسم الإشارة (هذا) ؛ ليعلن صراحة

(١) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٤٩٢).

أنَّ ما ذكره سابقًا هو أمرٌ كوني غريزي؛ إذ (شأن =فعل المحبة معلوم (لأنَّ) النفس محبوبة)، والإنسان مجبول على حب نفسه.

ولأجل تلك المقدمات السببية المترابطة يختم "مسكويه" جوابه بأسلوب استفهامي حجاجي غرضه التلميح بالإنكار على "التوحيدي" في ذمِّ مَن يدعي العلم ويتعالم؛ لأنَّ ذلك في نظر "مسكويه" مسألة طبعية تقودها العاطفة؛ فمَن لا يملك علمًا ولا معرفةً لا يضره أن يدعيها: "فلمَ يُنكر ادعاء الإنسان لها المعارف التي هي فضائلها ومحاسنها، وإن لم يكن عندها شيء من ذلك؟!"[(١)]. وبذلك يصوغ "مسكويه"إستراتيجيته التلميحية في أسلوب عاطفي انطباعي، دعَّمه بالآليات الحجاجية المكونة من الأسباب والنتائج، والاستدراكات الشرطية المكونة من الشرط وجوابه.

الإستراتيجية الحجاجية:

تتأسس هذه الإستراتيجية على معيار هدف الخطاب؛ حيث يرمي المتكلم إلى تحقيق أهدافه النفعيَّة من خلال خطابه الإقناعي لإحداث تغيير في موقف المخاطَب فكريًّا أو عاطفيًّا[(٢)]، وفيها يستعمل المتكلم آليات الإقناع لتحقيق أهدافه من هذه الإستراتيجية، بالعلامات غير اللغوية، أو بممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني المتجسد في استعمال اللغة الطبيعية، وأبرز آلية تمثل ذلك هي آلية الحجاج[(٣)].

---

(١) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٦١).

(٢) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٤٤٤، ٤٤٥). وبليت، هنريش، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت، د.ط، د.ت، ص(١٠٢).

(٣) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٤٥٦).

وتعود أصول آلية الحجاج إلى نظرية الأفعال اللغوية التي أسسها أوستين وسارل، ثمَّ إضافة ديكرو للفعلين اللغويين: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج. وهو الفعل الموجّه إلى المخاطَب ويفرض عليه نمطًا معينًا من النتائج، بواسطة تقديم الحجج والأدلّة المؤدية إلى نتيجة معينة[١].ويتمثل ذلك في اختيار المتكلم الحجج التي تناسب السياق، ثم صوغها في قالب لغوي مناسب يفضي بمخاطَبه إلى الإذعان والتصديق.

وهذا ما سيتبين لنا في تحليلنا للمسألة التالية:

تحليل السؤال والجواب ضمن الإستراتيجية الحجاجية:

المسألة الثامنة: يقول "التوحيدي": "ما سبب الحياء من القبيح مرةً؟، وما سبب التبجح؟، وما الحياء أولًا؛ فإنَّ في تحديده ما يقرِّب من البغية، ويسهل درك الحق؟"[٢]؛ فيستهل مسألته بمقابلة بين ظاهرتين (الحياء من القبيح) ≠ (التبجح بالقبيح)، ثم يستأنف ويستدرك ضمن إستراتيجية حجاجية توجيهية لمخاطبه في سؤالٍ يوجهه فيه بالفعل الكلامي/الاستفهام المتبوع بالتعليل.

ويتعمق في توجيهه بدليل نقلي: "وما ضمير قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الحياء شعبة من الإيمان))؛ فقد قال بعض العلماء: كيف يكون الحياء - وهو من آثار الطبيعة -شعبة من الإيمان والإيمان فعل؟"[٣]، محاججًا "مسكويه" في تبيان السر في ذلك الأثر بواسطةعدد من الحجج؛ للدلالة على كون الحياء انفعالًا، لا يمكن تصوره من الإيمان؛ لأن الإيمان فعل. فصاغ تلك الحجج في سلم حجاجي، استدلَّ بعد الرابط الحجاجي (وهو من آثار الطبيعة) بخطاب من الدليل الصناعي (الصرفي): ".

---

(١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص(١٥، ١٦).

(٢) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٥٨).

(٣) السابق نفسه، ص(٥٨).

. . وهناك تقول: حيي الرجل واستحى؛ فيصير من باب الانفعال، أي: المطاوعة"[١]؛ ليكوِّن الحجة الأقوى.

الحياء انفعال؛ (تقول: حيي الرجل واستحيا).

ـــــــــ ن. الإيمان فعل؛ يدلُّك: آمن يؤمن إيمانًا.

وهو(الحياء) من آثار الطبيعة.

ـــــــــ تصور كون الحياء شعبة من شعب الإيمان.

ـــــــــ الحياء شعبة من شعب الإيمان.

ثم يختم مسألته بطلب حصول تصديق لقضيتين متناقضتين:

(كل المواضع يحمد فيها الحياء) ≠ (بعض الشؤون يقبل فيها الحياء).

وبهذا يتبع "التوحيدي" في مسألته إستراتيجية حجاجية، استعمل فيها تقنيات حجاجية توجيهية، كالأدوات اللغوية الصرفة، مثل: ألفاظ التعليل، والوصل السببي. والآليات شبه المنطقية (السلم الحجاجي)[٢].

إنَّ الفرضيات التي ينشئها "التوحيدي" في مسألته المكونة من عدة تساؤلات عن (الحياء: ماهيته، حقيقته، صفته) هي مسوغات تداولية لغرض حجاجي؛ فالمرسل " عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته؛ فإنَّ مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل ذلك سبلًا استدلالية متنوعة تجر الغير جرًا إلى الاقتناع برأي المحاور"[٣]؛ لذا يسترسل "التوحيدي" في مسألته متنقلًا من قضية

---

(١) السابق نفسه، ص(٥٨).

(٢) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص(٤٧٧، ٥٠٨).

(٣) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص(٣٨).

إلى أخرى ؛ بغية الإخبار تارة، والإملاء تارة أخرى، في أسلوب حواري يبدأهويختمه بقضيتين متشابهتين، هما :

(١) أ- الحياء من القبيح = (٢) أ- الحياء محمود في كل المواضع

ب - التبجح بالقبيح = ب - الحياء محمود في بعض المواضع.

حيث (١) تمثل القضية التي استهل بها التوحيدي مسألته باستفهام يطلب فيه حصول تصور للسببية الكامنة وراء ما سبب :

أ - الحياء من فعل القبيح.

ب - التبجح بالقبيح.

وهي قضية يتكرر فيها الفعل الكلامي (الاستفهام) المقرون بالتكرار الأسلوبي فيما يشبه الاستلزام المنطقي لملفوظين متناقضين، يصرُّ التوحيدي على تكرارهما في صياغة مختلفة في الخاتمة ؛ حيث (٢) تمثل القضية التي ختم بها مسألته باستفهام يطلب فيه حصول التصديق لوقوع الكلية أو تخصيص وقوعها :

هل :

أ- الحياء محمود في كل المواضع. ب - الحياء محمود في بعض المواضع.

وهي كذلك قضية تحتوي على ملفوظين كل منهما يستلزم القضية المقابلة له في المقدمة.

الجواب :

يستثمر"مسكويه" الفعل الكلامي (وما الحياء أولًا؟) الذي استدرك به "التوحيدي" ترتيب أولويات مسألته ؛ إذ يبدأ "مسكويه" جوابه بتنبيه "التوحيدي" إلى مطلبه الذي اختار البدء به مستعملًا أداة الشرط والتوكيد (أمَّا): "أمَّا الحياء الذي

أحببت أن نبدأ به"[١]في تعريف للحياء بأسلوب شرطي معتمد على آلية من آليات الإقناع، وهي: التعليل بالمفعول لأجله"فحقيقته انحصار نفسٍ مخافةَ فعلٍ قبيح يصدر عنها"[٢].

ثم يسترسل ويحصر المواضع التي يحمد فيها الحياء في حالتين: (الأحداث، والمشايخ)؛ فيفصل في توضيح الذين يستحسن لهم الحياء، ومن لا ينبغي أن يعرض لهم؛ حتى يؤكِّد في ختام استرساله أن الحياء (انحصار= انفعال)، ويدلل على ذلك باستدلالات طبعية، هي: "إحساس النفس بالأفعال القبيحة ونفورها عنها دليل على كرم جوهرها، ومطمع في استصلاحها جدًّا"[٣]، ونقلية، هي: "قال صاحب الكتاب في تدبير المنزل: ليس يوجد في الصبي فراسة أصح، ولادليل أصدق لمن آثر أن يعرف نجابته وفلاحه وقبوله الأدب - من الحياء"[٤]، ومنطقية إقناعية؛ "لأن نفوسهم يجب أن تكون قد تهذبت وأمنت وقوع شيء قبيحٍ منهم"[٥]، وهي أدلة تحتوي تقنيات حجاجية إقناعية، كالتعليل، وأفعل التفضيل. وجميع هذه الأدلة تلتقي في تأكيد تعريفه للحياء؛ لذلك سعى إلى ترتيب استدلالاته في السلم الحجاجي الآتي:

الحياء (حقيقته انحصار= انفعال نفسٍ مخافةَ فعلٍ قبيحٍ يصدر عنها).

ـــــ (الحياء) خلق مرضي= يحسن في الأحداث.

ـــــ إحساس النفس بالأفعال القبيحة ونفورها عنها دليل على كرم جوهرها.

(١) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٥٨).

(٢) السابق نفسه، ص(٥٨).

(٣) السابق نفسه، ص(٥٨).

(٤) السابق نفسه، ص(٥٩).

(٥) السابق نفسه، ص(٥٩).

وذلك لما ذكرناه من علة الحياء، وبيناه من أمره.

ـــ لا ينبغي للمشايخ أن يحذروا وقوع فعل قبيح منهم . . . لأن نفوسهم قد تهذبت.

ـــــ لاينبغي أن يعرض لهم (المشايخ) الحياء.

حيث استعمل "مسكويه" عددًا من الحجج للدلالة على حقيقة الحياء، ورتبها في سلم حجاجي، واستدل بالخطابين الواقعين بعد الرابط الحجاجي "وذلك لما ذكرناه من علة الحياء، وبيناه من أمره"(١)، وهما "إحساس النفس بالأفعال القبيحة ونفورها عنها دليل على كرم جوهرها"(٢)، و"الحياء خلق مرضي في الأحداث"(٣)؛ ليكون الحجة الأقوى لنتيجة استدلالاته: أنَّ "حقيقة الحياء انحصار نفس مخافة فعل قبيح يصدر عنها"(٤).

وعودًا إلى بدء المسألة يجيب "مسكويه" عن قضية (التبجح بالقبيح)، بإستراتيجية حجاجية يستعمل فيها الرابط الحجاجي (لأنَّ)؛ لتبرير وجهة نظره في أنَّ مسألة التبجح بالقبيح غير لازمة، وأنَّ (التبجح) عارض يقع حين لا يعلم وجه قبحه. ويمكن أن نمثل لهذه الإستراتيجية الحجاجية بالبنية الآتية:

النتيجة(-ن): التبجح بالقبيح مسألة غير لازمة.

الرابط: لأنَّ.

السبب: الجهل بالقبيح.

---

(١) السابق نفسه، ص(٥٩).

(٢) السابق نفسه، ص(٥٨).

(٣) السابق نفسه، ص(٥٨).

(٤) السابق نفسه، ص(٥٨).

بعد ذلك يبين "مسكويه" لـ"التوحيدي" خطأه في فهم الحديث الشريف (الحياء شعبة من الإيمان) بقوله: "وكيف لا يكون شعبة منه، وإنما الإيمان التصديق بالله عز وجل"[(١)]؛ فيوظف إستراتيجية الاستفهام الإنكاري لغرض إبطال المعنى الذي ذهب إليه "التوحيدي" في مسألته.

في هذه المسألة وجوابها تتجلى إستراتيجية الحجاج التوجيهي من السائل/"التوحيدي"، والحجاج الإقناعي من المسؤول/"مسكويه"؛ حيث يستثمر كل منهما إستراتيجيته حسب مقصده من خلال المواءمة بين الشكل اللغوي المناسب والعناصر السياقية[(٢)]؛ فيتخذ "التوحيدي" كل التقنيات التي تمكنه من "إقامة الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل"[(٣)]، ويتبع "مسكويه" تقنية التضامن فيبدأ بما رغب السائل البدء به، ثم يلجأ إلى إستراتيجية حجاجية إقناعية حين يشرح ويفصل جزئيةً ختم السائل بها مسألته؛ فيبيِّن فيها خلط السائل وسوء فهمه، ويقنعه بالقضية غير اللازمة؛ ليصل إلى القضية اللازمة؛ فيدلف إلى مراده ومقصوده ويبين للسائل خطأه في فهم ملفوظ من الحديث الشريف (الحياء شعبة من الإيمان)؛ بقوله: "كلام في غاية الحسن والصحة والصدق، وكيف لا يكون شعبة منه؟!"[(٤)]؛ فيستدل بإستراتيجية الاستفهام الإنكاري الواضح الذي مهد له بمدح ذلك الملفوظ مباشرة، وضمنَّه إنكاره على "التوحيدي" تساؤله واستغرابه عن كيفية تصور الانفعال/ الحياء داخلًا ضمن الفعل/ الإيمان.

---

(١) السابق نفسه، ص(٥٩).

(٢) عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص(٧٨).

(٣) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص(٢٢٧).

(٤) التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، ص(٥٩).

الخاتمة

اهتدى هذا البحث إلى تحليل الإستراتيجيات التي اتبعها "التوحيدي" في أسئلته، و"مسكويه" في أجوبته، واتضح أن تلك الأسئلة وأجوبتها تنطوي على افتراضات ضمنية تجعل من السؤال والجواب أسلوبًا حجاجيًّا، يستثمره "التوحيدي" و"مسكويه" في توظيف الآليات الحجاجية واللغوية والمنطقية التي تنوعت وفقًا لمقاصدهما وإستراتيجياتهما الخطابية؛ فقد يختار المتكلم منهما أحيانًا الإستراتيجية التوجيهية؛ فيعمل على تحقيقها بالآليات التي تتطلب نجاحها، وتارة أخرى يتطلب مقصده ومراده من خطابه استعمال الإستراتيجية التلميحية، أو التضامنية أو الحجاجية في منوال يوجه به "التوحيدي" "مسكويه" إلى التسليم والاقتناع بجواب يحدده في سؤاله، ومرة يلجئ "مسكويه" إلى الحشو والاستطراد؛ ليوضح ما تختزله أسئلة "التوحيدي" من معلومات وقضايا دقيقة.

إن إستراتيجيات السؤال والجواب في هذه المدونة تنطوي على أعمال ذهنية مبنية على افتراضات مسبقة توجه المتكلم إلى استثمار ما يمتلكه من آليات لتحقيقها، وهذا ما وجدناه في دراستنا لنماذج من أسئلة "التوحيدي" وأجوبة "مسكويه"؛ فقد تبين أن الإستراتيجيات في تلك النماذج تتجاوز الآليات المباشرة لمقتضيات الخطاب إلى الآليات الضمنية، المعتمدة على استثمار الكفاءات التواصلية والثقافية والمعجمية.

وهذا ما سعينا إلى بيانه وتحليله في هذا البحث حين تناولنا الإستراتيجيات الأربعة: التضامنية، والتوجيهية، والتلميحية، والحجاجية؛ بغية الكشف عن المظهر الحجاجي المهم الذي يرتبط بالاستفهام بوصفه قيمة تداولية يشترك فيها المتكلم والمخاطب في إثارة الأول للسؤال وبحث الآخر عن الإجابة في سياق تخاطبي تتعدد أساليبه ويتلون مظهره وفقًا لحيثيات ضمنية تكنُّها مقاصد المتخاطبيْن.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، الهوامل والشوامل، تحقيق: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، ط١، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

المراجع

[١] باديس، نرجس، دلالة الحضور في الإحالة المقامية: المشيرات المقامية نموذجًا، ضمن كتاب: أعمال ندوة الإحالة وقضاياها في ضوء المقاربات اللسانية والتداولية، ط١، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، تونس، ٢٠٠٨م.

[٢] بليت، هنريش، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري، د.ط، أفريقيا الشرق، بيروت، د.ت.

[٣] خطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.

[٤] الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط٢، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م.

[٥] رابينوف، بول، ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، ترجمة: جورج أبي صالح، مراجعة وشروح: مطاع الصفدي، ط١، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.

[٦] السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

[٧] شارودو، باتريك، ومنغنو، دومنيك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، ط١، منشورات دار سيناترا، المركز اوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.

[٨] الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.

[٩] صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ط١، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، ١٩٩٨م.

[١٠] العالم، محمود أمين، تساؤلات حول تساؤلات الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي، مجلة فصول: المجلد ١٤، العدد ٤، ص(١٢٩ -١٣٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

[١١] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

[١٢] عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

[١٣] عبد الرحمن، طه، مسألة الدليل -الإضمار في الدليل، مجلة المناظرة، العدد٤، ١ مايو ١٩٩١م.

[١٤] العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط١، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٩٩م.

[١٥] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، د.ط، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

[١٦] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

[١٧] المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ط١، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، ١٩٩٨م.

[١٨] المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط١، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٣م.

[١٩] مقبول، إدريس، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد -العراق، العدد ٢/١٥، المجلد الثامن، ٢٠١٤م.

[٢٠] وهدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

[21] CharaudeauPatrick; (2016). "L'argumentation, Une Stratégie Discursive SousSurveillance",https://www.researchgate.net/publication/334659891_L'argumentation_une_strategie_discursive_sous_surveillance.

List of sources and references

Sources

-Attawḥīdī, ʾabū ḥayān, wamskwīh, alhawāml waššawāml, taḥqīq: ʾaḥmd ʾamīn wassayd ʾaḥmd ṣaqr, ṭa1, ʾāfāq lalnšr wattawzīʿ, alqāhrat,2019m.

References

[1] Bādīs, narjs, dalāla alḥaḍūr fī alʾiḥāla almaqāmya: almašīrāt almaqāmya namūḏjan, ḍamn katāb: ʾaʿmāl nadwa alʾiḥāla waqḍāyāhā fī ḍawʾ almaqārbāt allasānya wattadāwlya, ṭa1, kalya alʾādāb walʿalūm alʾinsānya bālqīrwān, tawns,2008m.
[2] Balīt, hanrīš, albalāġa wālaʾslūbya, naḥū namūḏj saymyāʾī latḥlīl annaṣ, tarjma: maḥmd alʿamrī, daṭ, ʾafrīqyā aššarq, bayrūt, d,t.
[3] Kaṭābī, maḥmd, lasānyāt annaṣ: madḳl ʾilā ansjām alḳaṭāb, ṭa1, almarkz aṯṯaqāfī alʿarbī, bayrūt, 1991m.
[4] Addarīdī, sāmya, alḥajāj fī aššaʿr alʿarbī banīth waʾsālībh, ṭa2, ʿālm alkatb alḥadīṯ, alʾardn, 2011m.
[5] Rābīnūf, bawl, mayšīl fawkū masīra falsfya, tarjma: jawrj ʾabī ṣālḥ, marājʿa wašrūḥ: maṭāʿ aṣṣafdī, ṭa1,mrkz alʾinmāʾ alqawmī, bayrūt, d,t.
[6] Assakākī, ʾabū yaʿqūb, maftāḥ alʿalūm, taḥqīq: naʿīm zarzūr, ṭa2, dār alkatb alʿalmya, bayrūt, 1987m.
[7] šārūdū, bātrīk, wamnġnū, dawmnīk, maʿjm taḥlīl alḳaṭāb, tarjma: ʿabd alqādr almahīrī waḥmādī ṣamūd, ṭa1, manšūrāt dār saynātrā, almarkz awṭnī laltrjma, tawns, 2008m.
[8] Aššahrī, ʿabd alhādī, ʾistrātījyāt alḳaṭāb: maqārba laġūya tadāwlya, ṭa1, dār alkatāb aljadīd almatḥda, bayrūt, 2004m.
[9] ṣawla, ʿabd Allah, alḥajāj ʾaṭrh wamnṭlqāth watqnyāth man ḳalāl maṣnf fī alḥajāj -alḳaṭāba aljadīda labīrlmān watītīkā, ḍamn katāb: ʾahm naḏryāt alḥajāj fī attaqālīd alġarbya man ʾarsṭū ʾilā alyawm, ṭa1, kalya alʾādāb jāmʿa manūba, tawns, 1998m.
[10] Alʿālm, maḥmūd ʾamīn, tasāʾlāt ḥawl tasāʾlāt alhawāml waššawāml laʾbī ḥayān attawḥīdī, majla faṣūl: almajld 14, alʿadd 4, ṣa(129-135), alhayʾa almaṣrya alʿāma lalktāb, 1996m.
[11] ʿAbd arraḥmn, ṭah, allasān walmayzān ʾaw attakūṯr alʿaqlī, ṭa1, almarkz aṯṯaqāfī alʿarbī, addār albayḍāʾ, 1998m.
[12] ʿAbd arraḥmn, ṭah, fī ʾaṣūl alḥawār watjdīd ʿalm alkalām, ṭa2, almarkz aṯṯaqāfī alʿarbī, bayrūt, 2000m.
[12] ʿAbd arraḥmn, ṭah, fī ʾaṣūl alḥawār watjdīd ʿalm alkalām, ṭa2, almarkz aṯṯaqāfī alʿarbī, bayrūt, 2000m.
[13] ʿAbd arraḥmn, ṭah, masaʾla addalīl-alʾiḍmār fī addalīl, majla almanāḏra, alʿadd4, 1 māyū 1991m.

[14] Alʿajm, rafīq, mawsūʿa maṣṭlḥāt attaṣūf alʾislāmī, ṭa1, maktba labnān, labnān, 1999m.
[15] Alʿazāwī, ʾabū bakr, allaġa walḥajāj, daṭ, alʿamda fī aṭṭabʿ, addār albayḍāʾ, 2006m.
[16] ʿAmr, ʾaḥmd maḳtār, maʿjm allaġa alʿarbya almaʿāṣra, ṭa1, ʿālm alkatb, alqāhra, 2008m.
[17] Almabḳūt, šakrī, naḏrya alḥajāj fī allaġa, ḍamn katāb: ʾahm naḏryāt alḥajāj fī attaqālīd alġarbya man ʾarsṭū ʾilā alyawm, ṭa1, kalya alʾādāb jāmʿa manūba, tawns, 1998m.
[18] Almatūkl, ʾaḥmd, ʾāfāq jadīda fī naḏrya annaḥū alwaḏīfī, ṭa1, kalya alʾādāb walʿalūm alʾinsānya jāmʿa maḥmd alḳāms, arrabāṭ, 1993m.
[19] Maqbūl, ʾidrīs, alʾistrātījyāt attaḳāṭbya fī assana annabūya, majla kalya alʿalūm alʾislāmya, jāmʿa baġdād-alʿarāq, alʿadd 15/2, almajld attāmn,2014m.
[20] Wahdsūn, ʿalm allaġa alājtmāʿī, tarjma: maḥmūd ʿayād, ʿālm alkatb, alqāhra, ṭa2, 1990m.
[21]CharaudeauPatrick; (2016). "L'argumentation, Une Stratégie Discursive SousSurveillance", https://www.researchgate.net/publication/334659891_L'argumentation_une_strategie_discursive_sous_surveillance.